التقرير الختامي: اتجاهات وقضايا المناقش(*)

أ. د/نادية مصطفي   د/ باكينام الشرقاوي

حرب أكتوبر مرحلة بالغة الأهمية في تاريخ مصر المعاصر، أسبابها، مسار أحداثها ونتائجها جميعها كانت مثار اهتمام المشاركين في أعمال الندوة التي عقدت بمناسبة مرور ثلاثة عقود على هذا الحدث الكبير. فمن الأهمية بمكان تدارس تأثير هذه الحرب على المجتمع المصري والسياسة المصرية بعد انقضاء فترة طويلة تسمح لنا بالوصول إلى إدراك أعمق وفهم مدروس لتداعيات الحدث ودلالاته. إن الهدف هوتدبر آثار ذلك العمل العسكرى الكبير ونتائجه على الأصعدة الحياتية الأخرى والنتائج الناجمة عن كيفية تعاملنا – كقيادة ومجتمع– معه، من ثم كان اقتراب الندوة من الحدث وما بعدة اقترابًا شموليًا يغطي المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وليس العسكرية فقط.

وكان الخيط الناظم الذي تغلغل وانتشر بين ثنايا الأوراق والمداخلات والتعقيبات هوالبحث في مغزى المقارنة بين لحظات النصر ولحظات الهزيمة من ناحية، ومغزى الإلتفات الآن– في ظل تنامي القيود والضغوط– لدلالات حدث حضاري كبير– مثل حرب أكتوبر.

إن الندوة لم تتناول الحدث في حد ذاته بقدر ما تناولته بمنهج كلى يساعد على فهم كيف تصنع الأمم النصر وكيف تتجه للهزيمة، وذلك على ضوء مناقشة ثلاث إشكاليات كبرى على التوالي: إشكالية العلاقة بين العسكري والسياسي (محور١) إشكالية العلاقة بين السياسي والمجتمع(محور ٢) وإشكالية العلاقة بين السياسي والفكري– الثقافي– الفني (المحور ٣)

وفي محاولة لرصد اتجاهات الآراء المختلفة التي تفاعلت إبان المناقشات وفي طيات الأوراق المقدمة يمكن ملاحظة عدة نقاط رئيسية:

ساد خطاب عام يرى في مرحلة ما بعد أكتوبر مرحلة سلبيات أكثر منها إيجابيات، بحيث لم تتواكب سلبية النتائج مع إيجابية وعظمة الحدث، فجاءت نتائج أكتوبر ضعيفة ولا تتلاءم مع ما كان منتظرا وما كان يجب أن يبزغ في مرحلة جنى الثمار. وتعددت المحاولات

(*) د. نادية محمود مصطفى، د. باكينام الشرقاوي (محرران): ثلاثون عامًا على حرب أكتوبر: نظرة للأمـــام، مركـــز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة ٢٠٠٤.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

لتفسير ذلك، لكن يمكن ملاحظة أن تقييم العسكريين لمرحلة ما بعد الحرب قد جاء أكثر إيجابية من باقي المحللين في المجالات الأخرى.

- ركزت معظم التحليلات والمناقشات التي سعت لتقديم تفسير لنجاح الأداء في حرب أكتوبر على مناخ التماسك العربى الذي باندثاره بعد ذلك تكونت عوامل التعثر، ومدى التباين الشديد بين المتوقع أن يفرزه هذا الحدث وما تلاه من تدهور على كثير من الأصعدة: كما رأت هذه الإتجاهات أن متغير النظام الدولى من حيث طبيعته ونمط تفاعلاته، قد مثل عاملاً إضافيًا ليعزز مسببات فشل حصاد هذه الجهود العظيمة إبان أكتوبر.

- ودار جدل مستمر حول مدى كفاءة الإدارة السياسية في الحصول على نتائج توازى ما تحقق في ١٩٧٣من إنجاز. فبدى نقد متنوع لأسلوب إدارة مرحلة ما بعد الحرب منذ مفاوضات فض الاشتباك.بل أن تصور القيادة السياسية للأهداف المراد تحقيقها في تلك الآونة كان وفقًا للبعض- بمثابة أحد محددات تطور الأحداث بعيدًا عن جنى أقصى مكاسب ممكنة.

وربط المحللون بين عدة دوائر رأوا أنها جميعها ساهمت في عدم استثمار النجاح العسكرى أقصى استثمار ممكن. فالتفكك العربى، الميل نحوكسب الولايات المتحدة الأمريكية، الانفتاح الاقتصادى وخيار عملية التسوية السلمية جميعها تمثل سلسلة متصلة مترابطة قادت كل منها للأخرى بطرق مختلفة.

كما أشار كثير من المشاركين- بطريقة أو بأخرى- إلى معادلة أكتوبر التي قادت إلى نصر أكتوبر وباختفائها تقلصت المنجزات، وإن تباينوا في تفصيل مكوناتها إلا أنهم اتفقوا على أنها مجموعة من المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية التي أدت إلى تحفيز الهمم وشحذ الإرادة وتعظيم الفعل، فتحقق الإنجاز العسكرى في لحظة أكتوبر. ولعل استرجاع بعض أو غالبية مكونات هذه المعادلة يكون مفيدًا في تدارك ما فات أمتنا من انتصارات على أصعدة مجتمعية أخرى لا تقل أهمية عن البعد العسكرى وربما تفوقه.

وقد عالجت الأوراق والتعقيبات الجوانب المختلفة لحرب أكتوبر وما بعدها: عسكريًا، اقتصاديًا، مجتمعيًا وفنيًا في محاولة لرصد الآثار المختلفة الناجمة عن هذا الحدث المهم.

أشار المشاركون في هذه الندوة إلى عدة لحظات تاريخية فاصلة وإلى كيفية الانتقال من واحدة لأخرى: لحظة الهزيمة، لحظة النصر ١٩٧٣، ولحظة إتفاقية السلام المصري الإسرائيلي ١٩٧٨ وما تلاها. فقد حدث التحول الأول من الهزيمة إلى النصر بسبب توافر

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

عوامل لم تكن موجودة من قبل مثلما أكد د.كمال المنوفي في كلمته الافتتاحية وهى حسن التدريب، حسن التسليح، حسن التخطيط ووضوح الهدف، بالإضافة إلى صلابة الجبهة الداخلية وخداع العدومع أهمية التضامن العربى، خاصة وأن حرب أكتوبر مثلت لحظة استثنائية قلما تتكرر في تاريخ التضافر العربى وهوعكس الأمر قبل حرب ٦٧ (وعكس أيضًا ما بعد ٧٣ وبالأخص ما بعد ٧٨). أما التحول الثاني فقد بدأ بسبب نصر أكتوبر الذي أظهر"حقائق جديدة وتغيرت عقول وأفئدة"، فتوفرت البيئة المادية والمعنوية الراعية للسلام. وتساءلت د. نادية مصطفى في الجلسة الافتتاحية أيضًا عن دلالة هذه الحرب ودروسها بالنسبة للحظات الانكسار الحالية وكيف يمكن الخروج منها.

ولقد تناولت أوراق **المحور الأول** التفسير الاستراتيجى لأهداف الحرب ونتائجها وكيفية التحول إلي خيار التسوية السلمية.

أما عن ورقة اللواء طلعت مسلم فقد غطت الأبعاد العسكرية للتحول في الاستراتيجية المصرية في هذه اللحظات الفاصلة. وقد ارتبط تغير الأهداف السياسية بتغير المتغيرات الدولية الخاصة بكل مرحلة، ولكن ظل الهدف السياسي العسكرى مستمرًا وهو تحرير الأرض على مراحل متتالية. وتمثلت مراحل الاستراتيجية العسكرية المصرية قبل الحرب في الصمود، الردع، التحرير. ومع تغير القيادة السياسية والظروف الدولية ظهرت حالة اللاسلم واللاحرب، ثم عادت الاستراتيجية المصرية مرة أخرى بعد ذلك إلى مرحلة التحرير.

ولعبت المتغيرات الدولية ممثلة في دور قطبي النظام الدولى والإقليمية ممثلة في دعم القوى العربية دورًا بارزًا في تحديد مصير الحرب، وتغيرت الاستراتيجية المصرية تمامًا بعد الحرب وبعد اتفاقية السلام، حيث استبدل العون العسكرى السوفيتي بعون غربي محدود، وتوقف التعاون العسكرى مع الدول العربية واستبدل بتعاون عسكرى مع الولايات المتحدة. فحدثت تغيرات فرعية في محاور تركيز الاستراتيجية العسكرية المصرية.

وهدفت ورقة اللواء محمد فكرى إلى تقديم تقييم عسكرى علمي لنتائج حرب أكتوبر. وأكدت هذه الورقة على أن النصر العسكرى كان حاسمًا ولصالح القوات المسلحة المصرية على الجبهة المصرية. ومنذ بداية السبعينيات بدأت القيادة السياسية في استخدام القوة المسلحة كأداة للسياسة الخارجية لكسر الجمود السياسي في الصراع العربى الإسرائيلي. وكان الهدف السياسي العسكرى تغيير موازين الموقف السياسي العسكرى في المنطقة.ومن هنا كان

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

التحرك العسكرى يهدف لعملية هجومية استراتيجية محدودة ومشتركة مع القوات السورية للوصول لخط المضايق، لأن الهدف الكبير كان تحرير سيناء على مراحل. كما قدمت الورقة الخطوط العريضة المتفق عليها كعوامل نجاح القوات المصرية والنقاط التي دار حولها النقد في محاولة لتوضيح الأداء العسكرى العام المصري وتفسير أي قصور بدى للبعض (خاصة مسألة الثغرة). حيث أن أهم نقاط التحول الرئيسية في مسار الحرب وكانت مثار للجدل هى مسألة تطوير الهجوم شرقًا. وقد عدد أيضًا اللواء فكرى النتائج السلبية والايجابية لحرب أكتوبر ولعل من أهمها تحريك الموقف وإنهاء حالة اللاسلم واللاحرب وكسر نظرية الأمن الإسرائيلي.

أما الدكتور حسن أبوطالب فتحدث عن الفارق الكبير بين السياق المولد للحظة أكتوبر وذلك المحيط باللحظة الراهنة. فالتضامن العربى الذي أحاط بالانتصار لم يعد متوفرًا، كما سادت"مفردات التدهور السياسي والعسكري والاقتصادي" سواء بالنسبة للنظام الإقليمي العربى ككل أودولة منفردة. وطرح سؤالاً بالنسبة للنظام الاقليمى العربى ككل أودولة منفردة. وهو: لماذا حدث هذا التدهور خلال الثلاثين عامًا الماضية؟ وللإجابة تحدث الباحث عن معادلة أكتوبر التي ارتبطت بهدف إرادة تغيير الواقع وعدم تقبله. ومن هنا فإن عناصر تلك المعادلة تكونت كالآتي: قرار، تخطيط وتوظيف في سياق من التنسيق العربى خاصة فيما بين ثلاث دول عربية محورية مصر، سوريا، والسعودية. ويمكن لغياب هذه المعادلة أن يفسر تردى الأوضاع الحالية.فقد بدأ تكتل أكتوبر في التفكك مع بداية محاولات الاستثمار السياسي لما حدث في أكتوبر فظهرت الخلافات وتصاعدت حتى وصلنا إلى ما نحن عليه.

تحدثت الورقة عن الارتباط بين ما يحدث في الداخل المصري وبين ما يحدث إقليميًا ودوليًا، حيث تداخلت الحلقات لتفرز من ناحية مزيد من الخلافات العربية ومن ناحية أخرى مزيد من الارتباط مع الولايات المتحدة ومن ناحية ثالثة مزيد من تأزم المشاكل الاقتصادية والسياسية الداخلية، وجمعيها عوامل تضافرت لتقود إلى قرار التسوية السلمية الذي واكبه سيادة مناخ من حماية المصالح القطرية مع تجاهل الحد الأدنى من المصالح القومية العربية المشتركة. كما أبرزت حرب أكتوبر استراتيجية أمريكية عدائية تجاه المنطقة العربية تبلور فيها انحياز كامل لإسرائيل، وقابل ذلك عدم تطوير العرب لأي من النتائج الإيجابية لحرب

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

أكتوبر ومنها فشل استراتيجية عربية لتصنيع السلاح، فتعددت بذلك عوامل سقوط معادلة أكتوبر والنتيجة هى التردي الذي نشهده الآن.

ويتضح من استعراض الأوراق السابقة والتعقيب عليها أن هذا المحور من الندوة قد عالج إشكاليات العلاقة بين العسكري والسياسي في إدارة الحروب ونتائجها على نحويفسر كيف فشلت معادلة حرب أكتوبر- في نظر البعض-وكيف حققت نجاحًا في نظر البعض الأخر.

فمن ناحية: يبين هذا الحور تعاقب مراحل التخلي عن الخيار العسكري في إدارة الصراع مع إسرائيل بعد حرب أكتوبر وأسباب هذا التخلي متعددة الأبعاد:

هل وطأة الإطار الداخلي والإقليمي والدولي ومن ثم تغير مدركات القيادة السياسية عن كيفية إدارة الصراع، أم تغير حقيقي في إدراك مصادر التهديد الأساسية للأمن العربى؟ كما بين هذا المحور مظاهر التخلي عن الخيار العسكرى وآثاره علي الإستراتيجية العسكرية ومن ثم علي أمن مصر.

ومن ناحية أخري عالج هذا المحور كيفية التوظيف السياسي لنتائج المعارك السياسة ودلالتة بالنسبة لسؤال هام مازال يتردد: ما الذي حدث عسكريًا وسياسيًا منذ حرب أكتوبر لنصل إلي ما نحن عليه الآن: لماذا لم يستمر التضامن العربي، لماذا لم تستمر الإدارة السياسية برفض وضع عدم التوازن القائم مع إسرائيل، ماذا حدث في ظل الانفتاح والتعددية؟ هل مارسا تأثيرًا سلبيًا ضد الخيار العسكري والتضامن العربي؟ أين ذهب الدور الأمريكي المنشود كوسيط ولماذا علي العكس تصاعد الانحياز الأمريكي لإسرائيل وكشف عن نفسه؟

ومن ناحية ثالثة: ألقت أعمال هذا المحور الضوء علي جانب هام وهوالآتي: إذا كانت التسويات السلمية تمثل قرينة لازمة للحروب، حيث أنه ليس هناك حرب هي بمثابة الهدف والغاية والوسيلة في نفس الوقت، فهل التسوية السلمية بعد حرب أكتوبر كان لابد وأن تقود إلي هذا التدهور في الوطن العربي، أم أن هذا الفشل العربي في التوظيف السياسي لنتائج الحرب هوالذي ساهم في التدهور، حيث أن التسويات السلمية في حد ذاتها لا تحمل شرًا، علي العكس كان لابد وأن تمثل إطارًا مناسبًا لإعداده القوة الحضارية الشاملة كأساس ركين للتوازن مع قوة العدو.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ولهذا كله- فعبر أعمال المحور الأول من الندوة تبلور اتجاهان أساسيان من الآراء حول هذه القضايا الثلاثة الكبرى. وكان الاتجاه الأول- هوالسائد، وهوالقائل بفشل معادلة حرب أكتوبر بأيدي مصرية وعربية وأمريكية. فبالرغم من أن الحرب كانت أكبر انتصار منذ ما يزيد عن ١٣٠ عام (أي منذ فرض معاهدة لندن ١٩٤٢علي محمد علي) إلا أنه لم يتم استثماره وتدعيمه لأن تحرير الإرادة السياسية لم يتحقق إلي جانب التحرير العسكري، بل تم اختزال نصر أكتوبر وروحه إلي مجرد مناسبة وحدث إعلامي سنوي.

أما الإتجاه الثاني- وكان الأقل وضوحًا- وخاصة في الأوراق- فلقد عبر عنه **تعقيب د. محمد قدري سعيد** في هذه الجلسة. فهو الاتجاه الذي يرفض الإعتراف بأن نصر أكتوبر قد تم خذلانه، بل ويبين كيف أن حرب أكتوبر قد حققت أهداف عديدة ويفسر د.قدري رؤيته انطلاقًا من تعريف النصر وطبيعته وفق إستراتيجية السادات، فهوليس النصر العسكري فقط بهزيمة إسرائيل وتحرير فلسطين ولكن النصر لاستعادة الكرامة وكسر نظرية الردع الإسرائيلي، وحماية نظام يوليو من السقوط، إدخال مصر عصر جديد من التنمية وذلك من خلال الإلتحاق بالعالم الغربي. ويبني د. قدري سعيد تحليله- كما أوضح في تعقيبة علي المفهوم الشامل للأمن بل اعتبار أن الحفاظ علي الأمن لا يكون بالوسيلة العسكرية فقط، ولذا أشار إلي وجود خطأ في ثقافتنا الأمنية بأنها ثقافة حرب فقط.

ولقد أثار هذا الطرح نقاشًا مهمًا علي أساس ضرورة تحديد معيار قياس النصر أوالهزيمة ولمن؟ وهل حققت إستراتيجية القوة الرخوة نتائجها في مصر؟

ومما لا شك فيه أن أعمال المحور الثاني من الندوة ساعدت علي الإجابة علي هذا السؤال الأخير.

فلقد انتقلت الندوة في **المحور الثاني** إلي معالجة الأبعاد المجتمعية للحرب وآثارها علي نحويلقي الضوء علي بعض التفسيرات لما آل إليه حال المجتمع المصري بعد الحرب، علي إعتبار أن الصراع مع إسرائيل هوصراع حضاري ممتد وأن الحروب العسكرية ليست إلا جولات من جولات أخري. بعبارة أخري فإن أعمال هذا المحور تساعد علي بيان كيف أن خيار التسوية السياسية، وما يحملة في طياته عن مفهوم الأمن الشامل، لم تتحقق أهدافة فيما يتصل بالقوة الرخوة. فمع إعتراف أوراق هذا المحور بحقيقة المواجهة- ليس العسكرية

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فقط- مع إسرائيل، إلا أنها أفاضت في شرح مؤشرات عدم النجاح علي هذا الصعيد الحضارى وأسبابه.

وكانت ساحة التعليم، وساحة التخطيط العمراني، وحالة جيل ٦٧، هي الساحات التي تم على صعيدها طرح إشكالية العلاقة بين السياسة من ناحية وبين المجتمع من ناحية أخرى.

ولقد وصف بحث الدكتور سعيد إسماعيل لحظة هزيمة ٦٧ بكونها "إخفاق ثقافة في مواجهة ثقافة".وكان لابد إذًا من إعادة بعث القوة الحضارية المصرية بمعناها الشامل فبرز الاهتمام بالتعليم كأساس أولى للنهضة المبتغاه. وبدأ جدل أيهم أسبق إعادة البناء التربوى للمجتمع ليتم إخراج العدو أم يتم إخراج العدو أولاً حتى نتمكن من تحقيق طفرة في برامجنا التربوية والتعليمية. إلا أن الجيش المصرى قدم مفاجأته في أكتوبر وقدم استثناءًا عما كان سائدًا في المجتمع المصرى عامة. لكن تظل المواجهة حضارية شاملة، وحرب أكتوبر ما هى إلا جولة في سياقها. وقد عانى بالفعل قطاع التعليم من الاستنزاف الكبير للموارد قبل وبعد أكتوبر. وكان فشل إدارة التعليم في إيجاد حلول مبتكرة وفعالة ما هو إلا امتداد لإخفاق الإدارة السياسية لحرب أكتوبر في مرحلة ما بعد انتهاء المعارك. فقد فاقت بكثير جملة الخسائر المجتمعية التي تلت الحرب ثمار الانتصار العسكرى. ومن أبرز معالم هذه المرحلة ما أسماه د.سعيد إسماعيل بـــ "الفسيفساء الفكرية" التي تعبر عن مرحلة تيه حضارى يصعب في ظلها نجاح أى تعليم. وسياسيًا، غابت الديموقراطية بالرغم من التوجه إلى الرأسمالية وإلى الولايات المتحدة. أما تعليميًا، فسار التمويل والإدارة على النهج الليبرالى وما عدا ذلك من مناهج وإعداد المعلم والامتحانات ومنح الشهادات استمر على النهج الشمولى. وفي ظل غياب هوية واضحة افتقد التعليم البوصلة الفكرية الموجهة له والمنسقة لجهوده. وتعرضت الورقة في النهاية إلى التناقض الصارخ بين حال عسكرى عالي المستوى وبين حال تعليمى سار في اتجاه معاكس، حيث تضاءل المكسب السياسي بالمقارنة بجهود حرب أكتوبر ودخل التعليم في سلسلة من الأزمات المتفاقمة انعكست على شخصية المواطن المصرى.

ومن ناحية أخري اهتم د.محمد السيد سعيد بتحليل السياق المحدد للمجتمع والدولة في فترة ما بعد حرب أكتوبر. وقد عكست أنماط التطور والتشكل الحضاري كافة النظم التي مرت بها مصر:من نظام تسلطى شعبوى ذي آفاق اشتراكية إلى نظام تسلطى بيروقراطى مأزوم يقود تحولاً مشوهًا إلى اقتصاد السوق. استمرت العمليات التاريخية النمطية والخاصة

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

بنمط البلاد الفقيرة المكتظة بالسكان وتكيفت مع الظروف الجديدة المنبثقة بعد حرب أكتوبر ومنها. وقد صنف د.سعيد هذه العوامل في أربع: المرجعيات السياسية والقانونية الجديدة، الظروف والسياسات الاقتصادية الجديدة، إعادة البناء الطبقى والاجتماعى والديناميكية الثقافية الجديدة ومرجعية الملكية الفكرية.

وفي ظل مرجعية قوى السوق زاد انتعاش قطاع المقاولات مع التوسع في تمكين نخبة إدارية من الأراضى، وذلك في محاولة لتدعيم شرعية النظام ولكن من دون رؤية معمارية جديدة. وواجه جيل أكتوبر تداعيات ظروف اقتصادية صعبة سمحت بتوجيه الاستثمار لإرضاء الطبقات العليا والوسطى العليا. وبسبب الاختلال بين العرض والطلب زاد عرض المساكن الفاخرة بوضوح في حين زاد الطلب على مساكن الطبقة الفقيرة بشكل كبير، "فانفلت الوضع العمرانى" وأدى ذلك إلى مثالب عدة أثرت على تشكل الفضاء الحضارى في مصر طوال عقدى ما بعد أكتوبر. وقد فشلت عمليات إعادة التشكيل الطبقى منذ السبعينيات في بناء الجماعة الحضارية. كما عكست العشوائيات الحضارية حالة العشوائية الثقافية التي ظهرت عقب أكتوبر وما زالت سائدة في غالبية المجتمع. لكن انتقد د.سعيد تركيز التحليلات على أزمة السكن من ناحية الكم فقط متجاهلة ما ارتبطت بها من تدمير حس المجتمع وسكينته. بالإضافة إلى ذلك انعكس ميل النظام السياسي لنزع المشاركة على جعل المجال العمرانى أقل المجالات استدعاءًا للرغبة في المشاركة.

وتحدث د.على ليلة في تعليقه علي هذا الجلسةعن أنه: في ظل تعاظم الضغوط، أصبح الإسكان في عهد الدولة الناصرية "إسكانا للبقاء" دون اهتمام "بالنموالمنسق والجمالى". وكان إسكان الفقراء مشوهًا إلى الدرجة التي ساعدت على انهيار الأخلاق العامة. واتفق مع د. سعيد على التأثير السلبي لتثبيت الإيجارات حيث كان تفكير الدولة تفكيرًا طبقيًا وليس متطورًا وأدى إلى اختزال المسكن في الإيواء المباشر دون أي اعتبارات جمالية بسبب امتناع كل من المستأجر وصاحب العقار عن المساهمة في الصيانة والتطوير. وتحدث عن المفارقة الكبيرة التي نجمت بعد حرب أكتوبر أن هناك قوى اجتماعية صنعتها بينما استفادت منها قوى أخرى. وظهرت مع هذه المفارقة وهي ترسانة قانونية تبيح كل شئ وأصبح القانون رخوًا، حيث استفادت السياسة العمرانية من زخم أكتوبر ولكنها تحيزت تدريجيًا لصالح قوى الطبقات العليا والوسطي العليا ولإشباع حاجات الترفية.كما شهدت بنية الثقافة والقيم تحولات كثيرة،

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

فظهرت قيم "الفردية ذات الطبيعة الانتهازية "، فساد اتجاه حل كل فرد لمشاكله طالما لا يقلق الدولة، وتم ترك كل من الفقراء والأغنياء بدون رقابة فعالة طلبًا لأمان الشرعية، وحال الريف لم يكن أفضل من المدنية. وأشار د.على ليلة إلى أن غياب الرؤية الاستراتيجية لما بعد الحرب والقانون الرخو والانتهازية والخوف على أمان الشرعية أضاعوا على الأمة المصرية مكاسب هذه اللحظة المهمة وهي نصر الحرب.

كان من الضروري تناول الاتجاهات السائدة لدى جيل ٦٧ باعتباره مرتبطًا أيضا لجيل أكتوبر. فعلى يد من عاصر الهزيمة تحقق النصر العسكرى. وتم تغطية البعد الجيلى لحرب أكتوبر في ورقة د.أحمد عبد الله زرة، وقد تحدث عن مردود هزيمة ١٩٦٧ على المجتمع المصري مستخدما معيار الأجيال، فتطرق إلى المناخ السياسى والاجتماعي والاقتصادي قبل النكسة والذي ساهم في خلق فكر وتوجه جيل الشباب في هذه المرحلة. ولقد رأى أن التعبير والتنظيم من أهم ألازمات التي شكلت سلبية الشباب السياسية. وجاءت لحظة ٦٧ لتضع عبء استدراك الهزيمة على عاتق هذا الجيل. وأشار د. عبد الله إلى "عملية التبلور الأيدولوجى" لدى الشباب في تيارات فكرية مختلفة باعتبارها أحد نتائج حرب أكتوبر خاصة وأنها حرب ساهمت في بناء شرعية سياسية جديدة للرئيس السادات وهى ذاتها الشرعية التي مكنته من اتخاذ خطوات ميزت نظامه السياسى. ولكن استمر النظام في قدرته الضعيفة على استيعاب "نشطاء" جيل الشباب الذي انتقلت قيادتهم من قوى اليسار إلى الإسلاميين. وأتضح انقسام جيل ٦٧ فكريا وأيدولوجيا بل وفي داخل كل تيار: فيما بين أجياله المختلفة.

وقد اعتبر د. عبد الله أن جيل ٦٧ هو جيل "مجتمع الصدمات" بدأ بهزيمة ٦٧ حتى استمرار سلطوية النظام. ومن ناحية أخرى ظل هذا الجيل يعيش أزمة جيلية بسبب ما شهدته الساحة المصرية من "احتكار جيلى" ضيق من فرص الصعود لهذا الجيل حتى الآن.

وبانتقال أعمال الندوة إلي **المحور الثالث** الخاص بدلالة الحرب ووضعها في مجال الأكاديميا والتاريخ والأدب والفن، اتضحت رؤى أخرى تفسر جانبًا آخر من الفشل في استثمار حرب أكتوبر، أو في التعبير الصادق عن حرب أكتوبر.

ففيما يتصل بالدراسة الأكاديمية للصراع مع إسرائيل، عدد د.عماد جاد العوامل المختلفة التي يراها سببًا في عدم الارتقاء بدراسة إسرائيل في مصر إلى مستوى الاهتمام

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

السياسي العام. في البداية ولفترة طويلة ظل الاهتمام بإسرائيل اهتمامًا معرفيًا يبغى الحصول على المعلومات لأغراض أمنية بالأساس، فكانت الدراسات في هذا المجال تصنف سرى للغاية. ثم جاءت بعد ذلك مرحلة إنشاء أقسام اللغة العبرية بالجامعات المصرية، وتلتها مرحلة إنشاء مراكز الأبحاث والدراسات لتغلب عليها الاعتبارات السياسية ابتداء ثم لتتعدد منطلقاتها ما بين أمنية أو أكاديمية بعد ذلك. كما أشار إلى تجربة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام في دراسة إسرائيل والتطور اللاحق بها. وخلص إلى أن أهم مثالب الدراسات حول إسرائيل تكمن في ضعف التنسيق ما بين المراكز المهتمة بهذه النوعية من التحليلات حيث تتضارب وتتكرر الجهود مع غياب التخصصات الدقيقة في الشئون الإسرائيلية.

أما مداخلة د. قاسم عبده قاسم فقد أشارت إلى أهمية الانتباه للعلاقة الجدلية الكائنة بين التاريخ والأدب. وكانت أولى ملاحظاته عن ضعف تأثير حرب أكتوبر على الأدب لأنه لم يتم خلق تيار أدبى (على خلاف ما حدث عقب هزيمة ٦٧)، حيث جاءت الأعمال الأدبية عن حدث أكتوبر فردية بالرغم من أهميتها. أما عن الدراما التليفزيونية فجاءت معظمها أعمالاً هزيلة تحدثت عن التحديات السلبية السياسية التي بزغت بعد فض الاشتباك. ويرى د.قاسم أن مرجع ذلك هو "النتائج السياسية الهزيلة والمتراجعة" لحرب أكتوبر على الرغم من إنجازاتها العسكرية العظيمة والمذهلة، الأمر الذي خلق ارتباكًا تصاعد مع التعتيم على البطولات الفردية الذي اعتقد د. قاسم أنه مقصود، مفسرًا ذلك برغبة النظام في احتكار إنجاز حرب أكتوبر كمرتكز أساسي للشرعية، فكان التركيز على سبيل المثال على الضربة الجوية. وساهم هذا التعتيم في جعل حرب أكتوبر تغيب عن وجدان ملايين المصريين بخلاف من عاصروها وشاركوا فيها، وأضاف د. قاسم أن للولايات المتحدة دورًا في ذلك. وتساءل مجددًا لماذا لم نشهد بعد نصر أكتوبر أشعارًا ولا مسرحًا ناضجًا كذلك الذي أعقب الهزيمة ١٩٦٧، وأشار في سياق الإجابة إلى مناخ عزلة مصر عن الجسد العربى الذي بدأت أصوات تنادى به، اختلاط تعريف العدو والصديق والارتباك الاجتماعي والسياسي الخطير عقب سياسة الانفتاح. استخلص د. قاسم في النهاية أن حرب أكتوبر لم تفرز تيارًا واضحًا في الرواية أو القصة أو الأعمال التليفزيونية والسينمائية ولا في الشعر ولا حتى في الفنون التشكيلية حيث شاب النصر موجة من الاحباطات والتراجعات على كثير من الأصعدة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

ومن ناحية أخرى حاولت ورقة أ.عصام زكريا تقييم سينما أكتوبر، والتي أرجع في بدايتها فشل هذه السينما إلى التناقض الجوهري بين صورة البطل التقليدية في الملاحم الحربية وصورة المقدمة في أعمال هذه السينما.

وباستعراض صورة البطل في الأفلام المعالجة لحرب أكتوبر نجدها غالبًا ما ترتبط بالجندي الفقير البسيط المحبط الذي يدخل الحرب لأسباب شخصية. مما يعنى أن الخيال الجمعي يميل إلى تقسيم أكتوبر طبقيًا وسياسيًا، فكان لابد من التأريخ الشعبي والتأريخ الرسمي وركز الإعلام على العائد الشخصي وعلى الانتصار الفردي للبطل على أعدائه الداخليين. ورأى أ.عصام أنه كان طبيعيًا أن تأتى الأفلام متواضعة فنيًا وفكريًا طالما ظل انتصار أكتوبر محدودًا لم ينتج عنه نهضة سياسية واجتماعية شاملة نحو التنمية أو الديموقراطية. والمسئولية متبادلة بين أكثر من طرف شعبية فعالة (ومنها النظام السياسي) في عدم محاولة الاستفادة من انتصار أكتوبر للتوجه نحو مشاركة فعالة.

وبالنسبة للأفلام التسجيلية، كانت أول وأهم عقبة هو منع تسجيل المعركة في مراحلها المختلفة، باستثناء السماح لعدد محدود جدًا بالتصوير بعد اليوم الثالث. وقد أرادت الدولة أن تكون المتحدث الوحيد باسم الحرب وألا يسمح إلا بالتاريخ الرسمي للظهور. وتعددت أسباب ضعف الأفلام المعدة عن أكتوبر منها سرعة الإعداد بهدف الاستغلال التجاري للمناسبة أونقص الإمكانيات أو التطورات الحادثة عقب ذلك والتي قادت إلى مفاوضات السلام وتضييق حيز الديموقراطية وغيرها.

ولقد راكم تعقيب أ. يوسف القعيد علي مدلولات الأوراق السابقة من حيث كيفية توظيف النظام للحرب تدعيمًا لشرعيته ودوره علي حساب دور قوي مجتمعية وسياسية، وهوالأمر الذي ترتب عليه حالة لبس وإستغراق في الجزئيات بحيث أصبحت الأمة بلا رؤية كلية شاملة تقدم حقيقة هذه الحرب وفلسفتها.

وهكذا فإن الإنتقال من المحور الأول إلي الثاني ثم الثالث من أعمال الندوة ليبين كيف أن الاتجاه العام في المناقشات لم يكن يشكك في نصر أكتوبر أو نتائجه في حد ذاته، بقدر ما يتساءل لماذا فشلنا في توظيفه وكيف حدث هذا. إنه سؤال نابع من طبيعة اللحظة الراهنة التي يزداد فيها الإحساس بالإنكسار وتشتد الحاجة فيها لفهم سبل النهوض، ذلك علي ضوء الواجهة الصريحة مع خبرة ثلاثة عقود ماضية.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com

وإذا كانت أعمال الندوة لم تقدم إجابات محددة وصريحة عن سبيل الحركة المستقبلية- وفق مقتضيات عنوان الندوة- فإن هذا الاستدعاء لهذه الخبرة المتراكمة عبر ثلاثة عقود ليقدم في حد ذاته الكثير من الدلالات بالنسبة للمستقبل.

ومن أهم هذه الدلالات ما يلي- أن حرب أكتوبر حدث حضاري كبير أكد قيمة الإنسان المصري في لحظة ما، ولذا يجب إعادة تأمله وعرضه علي أجيال المستقبل لتتعرف علي قيمته وأهميته كدليل علي أن الإنسان المصري قادر دائمًا علي أن يتوصل إلي كسر أحلك الظروف.

إن الإنتصارات العسكرية الكبرى تفقد قوة دفعها إذا كبلتها القيود علي الحرية السياسية وفقدان العدالة التوزيعية واهتزاز الأمن المجتمعي، ولذا فإن مجتمعنا في حاجة لعقد اجتماعي جديد يعالج مثالب الإنفتاح الإستهلاكي، والتغريب الثقافي ويحقق دولة القانون والحرية والمساواة.

PDF Created with deskPDF PDF Writer - Trial :: http://www.docudesk.com